ـ تعود جذور الأواصر التاريخية بين المجتمعين التونسي والجزائري إلى حقب قديمة ، وذلك منذ عهد الدولة القرطاجية إلى غاية الفتح الإسلامي ، أين اتسعت دائرة العلاقات الإجتماعية والثقافية بين القطرين .

وقد تعمقت تلك العلاقات بشكل أكبر في العصور الحديثة. وعلى الخصوص بعد غزو المحتل الفرنسي والتي كانت نتيجته هجرة الجزائريين نحو تونس وبالتحديد جامع الزيتونة الذي عرف نهضة تأثر بها الجزائريون ، مما جعله مقصدا لهم ، في ظل الأوضاع التي عرفتها الجزائر إبان الإحتلال الفرنسي .

وسنتطرق في هذا الفصل لدراسة أهم الروابط الحضارية التي كانت لها دور في دفع الهجرة الجزائرية تحديدا نحو تونس، بالإضافة لذكرنا لأهم رواد هاته الهجرة ودور جامع الزيتونة في تكوينها وكذا التعريج لأهم إسهامات النخبة الجزائرية في العامة بتونس .

أولا : أسباب وعوامل هجرة الجزائريين لتونس

أ – الدوافع الجغرافية والتاريخية

1- الدوافع الجغرافية :

كان للموقع الجغرافي دورا مهما في تماسك القطرين ، فكلاهما يشكلان إقليمان ذات خواص متماثلة ، حيث أنهما يتميزان بنفس التضاريس وذلك بوجود سلسلتين جبليتين الأطلس التلي بارتفاع حوالي 2300 متر في الجزائر وينتهي بتونس[1] في جبال شامبي بارتفاع حوالي 1550 متر ، وكان من نتيجة ذلك تشابه كبير في الظروف المناخية والإقتصادية ، وكذا الإجتماعية وبالتالي تيسَّرت أسباب التواصل [2]

2- الدوافع التاريخية :

حيث عرفت تونس والجزائر تعاقب الحضارات نفسها ، بالاضافة إلى أهم عامل من العوامل التاريخية التي عرفها كلا القطرين ، وذلك في القرن السابع ميلادي ، حيث تعاقب على تونس والجزائر نفس الدول منها الفاطميون[3] والمرابطين والموحدين ، وكذا التعاون فيما بينهما لمواجهة الإستعمار الذي واجههما مع الفاتحين المسلمين ومن ثم تضامن الشعبان في التصدي للاحتلالات الأروبية ، الذي تواصل لمدة ثلاث قرون[4] .

3- الإستعمار الفرنسي:

إن التلاحم الجزائري التونسي ضد الغزو الأجنبي عرف منذ القدم ، إلا أن هذا التلاحم تعزز أكثر عقب الإستعمار الفرنسي ، حيث شارك التونسيين مع الجزائر في مقاومتها ، وبالتالي أصبحت منطقة الشرق الجزائري ومنطقة الغرب التونسي إمتدادا لبعضهما ، وازداد هذا الترابط ترسَخا خاصة بعد فرض الحماية على تونس 1881م ،

---

[1]- تونس: اختلفت حدود تونس في العصور القديمة ، وذلك نظرا لعدد القبائل الكبيرة التي عاشت فيها ، إلا أنها حاليا يحدها في شمال وشرق البحر الأبيض المتوسط وجنوبا الصحراء ومن الغرب الجزائر أنظر :

Amtichan.la tunis son pané et son Avenir . ed2. Librairie. Paris 1887 p1

[2]- خير الدين شترة ، اسهامات النخبة الجزائرية ، ص 58

[3]- الفاطميون : تم تأسيسها في 909-973 سمي بالفاطميون نسبة لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، انتقلوا للمغرب بعد اضطهادهم في مشرف من قبل العباسيين، أنظر Amtichan : op.cit.p233

[4]- خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ، ج1 ، ص142.

وتجسد ذلك من خلال مساندة الجزائريين لتونس بتقديم مساعدات فمثلا مقاومة بوعمامة[1] التي كانت كرد فعل على الاستعمار الفرنسي لتونس [2]

ب ــ الدوافع الحضارية :

1ــ الدين :

يعتبر الدين الإسلامي أهم مقوَم من مقومات الوحدة المغاربية ، فقد كانت كل من الجزائر وتونس على وحدة دينية ، فكلاهما يعتنق المذهب المالكي مما أدى إلى تلاحم الشعب الجزائري بالتونسي ، وزاد في عمق التواصل بين القطرين[3] ، حيث أن الدين الإسلامي يذكر ويدعو إلى الأخوة الإنسانية الجمعاء بين البشر [4]

2ــ اللغة والعرق:

حيث إعتبر ابن باديس أن اللغة هي الرابط الذي يربط الماضي والحاضر والمستقبل ، فالعقيدة واللغة هي من الروابط المتينة بين الأمم والشعوب التي يصعب فصلها[5].

"... فالاسلام يجمع بيننا في العقيدة ومظاهرها والعربية توحد بيننا في اللغة وأثارها ، والعقيدة واللغة هما أبرز مظاهر الأمم ، وأمتن الروابط بين الشعوب ... وقد وصل الاستعمار الغربي قديما وحديثا بكل ما أوتي من وسائل القوة والكيد على قطع هذه الصلة ، ولكن هيهات أن يقطع المخلوق ما وصله الخالق ..."[6]

---

[1]. مقاومة بوعمامة: 1881–1883 م اندلعت في الجنوب الوهراني على يد محمد بن العربي بن ابراهيم ، المكنى بوعمامة، كانت نهايتها بعد مراسلة بوعمامة السلطات الفرنسية طالبا العفو، أنظر: يحي بوعزيز ، ثورات القرن التاسع عشر ، ط خ ، عالم المعرفة، الجزائر ، 2009م ، ص 297 ـ 314.

[2]. خير الدين شترة، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة، ج1 مرجع سابق، ص 144–147.

[3]. المرجع نفسه، ص 144–147.

[4]. عبد الرحمن شيبان ، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دط . دار المعرفة ، الجزائر ، د ت ، ص 14.

[5]. خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ،ج1. ص 127.

[1]. فرحات بن دراجي ، **كلمة عتاب إلى اخواننا الشرقيين** ، البصائر ، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ع 89– 3 ديسمبر .1937 م، ص 1

3ــ العوامل الثقافية والاجتماعية :

كان تأثير التقارب الإجتماعي والثقافي لكلا القطرين ، تأثيرا إيجابيا فقد أوجد هذا أسلوب معيشة متقاربة بينهما ، إضافة إلى الدين الإسلامي الذي يعد من أهم مقومات توثيق الصلة والترابط بين سكان المنطقتين[1]

4ــ مكانة تونس ودور جامع الزيتونة:

تعتبر تونس البلد الأعمق تأثرا ، باعتبارها الأكثر انفتاحا على الحضارات سواء الحضارات بالتي عرفها البحر الأبيض المتوسط أو الحضارات الشرقية الشرقية إضافة للإزدهار الحضاري الثقافي التي عرفته فقد استطاع الجامع الأعظم من خلال مكانته إنشاء الجسر الرابط بين التونسيين والجزائريين ، بذلك أراد أبناء الجزائر الهروب بالمقومات العربية والإسلامية من الاستعمار الفرنسي الذي وجه ضربات قاسية لهاته المقومات والإحتماء بها في جامع الزيتونة وصيانتها[2] .

[2]. خير الدين شثرة ، اسهامات النخبة الجزائرية ، ص 59.

[3]. خير الدين شثرة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ، ج1، ص 155-157 .

ج ــ العوامل الخارجية:

1ــ الوعي القومي للجزائريين ودور الجامعة الإسلامية :

كان الوعي القومي للجزائريين متميزا ، بحيث كان الجزائريون لا يدعون فقط لحدود الجزائر الطبيعية ، وإنما ينادون بكامل الحدود التي تفصل الاسلام عن المسيحية ، وقد تأثر الجزائريون في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بفكرة الجامعة الإسلامية [1] بحيث دعت هذه الجامعة إلى العقلانية الإسلامية والتجدد الذاتي والتي مثلها العلامة ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين في المغرب العربي بإعتماد النضال على أساس العروبة والإسلام وكان من تأثيرات هذه الجامعة من خلال أهدافها في توحيد المسلمين ، الأثر الكبير على الحياة الجزائرية والتونسية والتي تجلَت في النهضة التي عرفها كلا البلدين[2].

2ــ تأثير الشرق في التواصل بين القطرين:

كان لتأثيرا المغرب العربي بالمشرق ثقافيا وحضاريا دورا في نمو حضارته نموا واحدا متجانسا ، وتطور مجتمعه تطورا متناسقا ومتماثل، فكان من نتيجة ذلك أنه زاد روح التواصل بينهما

3ـ النهضة العربية ودورها في العصر الحديث :

عرف المشرق في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نهضة كان لها الأثر الكبير في الفكر القومي وتطوره في تونس والجزائر[3].

---

[1]ـ الجامعة الإسلامية : تعني في الأساس ، التيار الفكري والسياسي ، جاءت نتيجة التحديات التي تواجه الفكر الاسلامي كالتخلف والانحدار الحضاري ، أنظر : محمد عمارة ، الجامعة الاسلامية والفكرة القومية ، ط1 ،دار الشروق ، القاهرة ، 1994م ،ص 50

[2]ـ خير الدين شترة ، اسهامات النخبة الجزائرية ، ص 59-67

[3]ـ المرجع نفسه ، ص63-70

وعقب ح.ع.1 زاد التواصل والتلاقي بينهما خاصة بعد ظهور قادة تأثروا بهم ، ومن أبرزهم مصطفى كامل[1] وشكيب أرسلان[2] .

4ـ التأثيرات الأروبية:

وذلك من خلال التطورات التي عرفتها الدول الأروبية من بينها مبادئ الثورة الفرنسية[3] والح.ع.1 التي ساهمت في يقظة المغاربة .

بالاضافة لتأثيرات ح.ع.2 بحيث كان لمكتب الدعاية الألماني دورا في التواصل الوثيق بين الوطنيين الجزائريين والتونسيين ، وذلك من خلال فروع للدعاية بالمغرب إضافة إلى ذلك فقد كان للشيوعيين دورا هاما في نشر الوعي السياسي بين الجزائر وتونس[4].

[1]ـ مصطفى كامل : ولد في رجب من سنة 1291هـ ، أبوه على أفندي محمد ، تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة عباس الأول التي تم تأسيسها من عام 1284، ثم درس الحقوق ببلوغه سن سادسة عشر من العمر ، أنظر : مصطفى كامل باشا ، سيرته وأعماله ، تقديم على فهمي كامل ، ج1 ، ط1 ، مطبعة الدواء ، مصر، 1908م ، ص 63،81 .

[2]ـ شكيب أرسلان : ولد يوم 25ديسمبر 1869بلبنان ، ارتبط اسمه بنجم شمال افريقيا وقضايا العروبة ، كانت له علاقة برجال الاصلاح مثل ابن باديس والحركة الوطنية الجزائرية منذ الح.ع.1، أنظر : أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وأراء** في تاريخ الجزائر ، ج مح 4 ، 2 ط 2 ، دار المغرب الإسلامي ، لبنان ، 2005 م ، ص 114 – 118 .

[3]ـ الثورة الفرنسية : كانت فكرتها في القرن السابع عشر ، بعد التطور الاجتماعي والاقتصادي التي عرفتها البرجوازية والتي تم تكريسها من عام 1789م .أنظر : البير سيول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، تي ، جورج كورسي ، ط4، دار منشورات عويدات ، بيروت 1889، ص 06

[4]ـ خير الدين شترة، اسهامات النخبة الجزائرية ، ص 68-69

ثانيا: الهجرة الجزائرية إلى تونس ودور جامع الزيتونة في تكوين أبرز روادها

أـ الهجرة إلى تونس:

باحتلال المستعمر الفرنسي للجزائر من عام 1830، وبسبب سياسته ، اضطر الجزائريين على الإرتحال والهجرة[1] إلى جيرانهم ولمن تربطهم بهم صلة ، بحيث اعتبرت شكلا من أشكال المقاومة[2].

وقد مرت هجرة الجزائريين عبر مراحل، إلا أن أغلبها كانت نحو المغرب أو تونس ومن بين المناطق التي عرفت نسبة كبيرة من المهاجرين منها : وهران قسنطينة ، معسكر وعلى الخصوص منطقة بني ميزاب التي كانت على صلة بتونس[3].

بحيث عرفت حركة العلماء الجزائريين أربع مراحل فالمرحلة الأولى كانت في القرن التاسع والثالث عشر ميلادي ، أما المرحلة الثانية فتمتد من 14 لي قرن 15 م ، والمرحلة الثالثة فكانت من القرن 15 إلى قرن 18 م إلا أن أهم مرحلة هي المرحلة الرابعة والتي كانت مابين القرنين 13 و 14 هـ الموافق ل ق 19و20 م ، وقد تميزت هاته المرحلة بثلاث اصناف فمنهم من دخل الحكومة التونسية ، ومنهم من استقر بتونس بصفة نهائية أما الصنف الثالث فقد ركز على طلب العلم بالزيتونة[4].

---

[1]- الهجرة : هي حركة تنقل الأفراد والجماعات إما داخليا أو خارجيا ، ويمكن أن تكون فصلية أو مؤقتة أو نهائية ، أنظر : موسى بن موسى ، هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات واحداث التكامل الثقافي في النهضة . الأول من ق14هـ و ق 20م ، ملتقى حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954م ، 2013/11/10م ، جامعة الوادي

[2]- محمد صالح الجابري ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1906. 1962 ، دار الحكمة الجزائر 2007 ، ص10

[3]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ج1،مج1، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ، 2000م ، ص 551، 554

[4]- عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين 19و20ميلادي ، دط ، ديوان المطبوعات ، الجزائر1995م ، ص 63،77 .

ومن بين مسارات الهجرة ، منها مسار الشمال الشرقي ومسار الجنوب الصحراوي اللذين يتجهان مباشرة لجامع الزيتونة ، وكذا المسار التي اتخذته الزوايا والكتاتيب على طول الحدود الجزائرية التونسية[1].

ونظرا لتزايد عدد المهاجرين لتونس فقد خصصت مقرات لهم منها السلمانية وابن خلدون، والتي أصبحت مزرات لبعض الشخصيات أمثال ابن باديس والطيب العقبي[2]، فقد قدرت الإحصائيات لعدد الجزائريين الموجودين في الجامع الأعظم في أوائل الثلاثينات حوالي مائتين طالب ثم ارتفع العدد إلى مائتين وخمسين طالب ، ومع منتصف الثلاثينات بلغ تعداد الطلبة حوالي ستمائة وثلاثة وستين طالب[3].

ونيشاط البعثات العلمية وتزايد عددها في الجامع ، قام عبد الحميد بن باديس بعد عودته ، بتعزيز الحركة العلمية وذلك بتأسيس معهد بمسقط رأسه (قسنطينة) ، وذلك في عام 1925م ، والذي كان تابعا لجامع الزيتونة ، وكان ذلك بعد إعتراف الطاهر عاشور ، بأنه فرع من فروع الزيتونة عبر مراسلة من البشير الابراهيمي ، كما دعم هذا المعهد بالكلية الكتانية.

وما يميز هاته المرحلة ، هي أن الهجرة العلمية الجزائرية اقتصرت على تونس ، ففي العقد الأول من عشرينات هذا القرن ، هاجر ابن باديس من عام 1908م ، الذي يعد أحد واضعي أسس التواصل الثقافي والعلمي بين تونس والجزائر.

وقد عرفت هذه المرحلة هجرة أبرز الشخصيات أمثال مبارك الميلي[4] ، العربي التبسي وغيرهم الذين تخرجوا على يد الزيتونة[1] .

---

[1]- محمد صالح الجابري ، مرجع سابق ، ص 41

[2]- الطيب العقبي ، ولد في 15 جانفي عام 1890م ، بسيدي عقبة ، انتقل مع اسرته للحجاز ،أني درس بها في الكتاتيب القرانية ، يعبر من المصلحين الأوائل في الجزائر من أهم نشاطاته محاربة الطرق الصوفية ، بالاضافة إلى نشاطه الصحفي ، كانت وفاته يوم 21ماي 1960م عن عمر ناهز 72سنة ، أنظر : أحمد مربوش ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، ط1 ، دار هومة ، الجزائر ، 2007م ، ص28 ،31.

[3]- خير الدين شترة: اسهامات النخبة الجزائرية ، ، ص 202

[4]- ولد في 25ماي 1898م، بقرية سيدي مبارك ، من ابرز الرواد المصلحين الأوائل ، درس بالجامع الأخضر على يد عبد الحميد بن باديس ، هاجر إلى تونس للتعليم ، تحصل على شهادة التطويع ، من أهم مؤلفاته، كتاب الجزائر في القديم=

ومن ثم تواصلت الهجرات المدعومة من طرف الزوايا والطرق بالاضافة إلى البعثة الميزابية في عام 1912م[2] ، بقيادة الشيخ ابراهيم أطفيش[3] ، والتي ضمت بعض الشخصيات السياسية والأدبية من بينها أبي اليقظان ومفدي زكرياء[4].

وبذلك أصبح للزيتونة معهدان يتبعان نظامه وبرامجه وكان هذا بهدف ربط هذه الحركة العلمية به[5] .

وبإند لاع الح.ع.1 عرفت تونس غلق لمعاهدها ومدارسها وكان من نتيجة ذلك عدم استطاعة البعثات العلمية تحقيق الأهداف المرجوة وبمجرد انتهائها توالت البعثات الإدريسية، من بينهم العربي التبسي ، السعيد الزاهري[6] وغيرهم من النخبة الزيتونية التي راهن عليهم ابن باديس في حركة الإصلاح ، فقد استطاع هذا الأخير تنظيم البعثات العلمية بعد أن كانت عبارة عن هجرات فردية غير منتظمة[7].

=والحديث . وفته المنية يوم الخميس في 09فبراير عام 1945م ، انظر : محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج1، دط ، دار هومة ، الجزائر ، 2000م، ص 24-26

[1]. خير الدين شترة : اسهامات النخبة الجزائرية ، ص 199 .

[2]. حبيب حسن اللولب ، الطلبة الجزائريون بالبلاد التونسية 1876-1962م ، ملتقى حول التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1945م ، 2013/11/10م ، جامعة الوادي ، دص

[3]. ابراهيم أطفيش : هو إبراهيم بن محمد براهيم بن يوسف أطفيش أبو اسحاق ، من مواليد قرية بني يسقن " وادي ميزاب " 1888-1965م انتقل لتونس ابن درس بالزيتونية انظر : عادل نويهض ، **معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر** ، ط 2، مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان ، 1980م ، ص19

[4]. مفدي زكرياء : ولد عام 1913 بوادي ميزاب ، حفظ القرءان في سن السابعة من العمر انتقل لتونس ضمن البعثة الميزابية فدرس في المعهد الخلدوني ، تحصل على شهادة ثانوية في سن الثامنة عشر ، ثم التحق بالجامع ، تميزت شخصيته بتأثره الثوري السياسي نظر لمزاولته النشاط السياسي داخل حزب دستوري الحر ، توفي على إثر سكتة قلبية بتونس سنة 1977م ، انظر : محمد الحسن فضلاء ، **من أعلام الاصلاح في الجزائر** ، ج2، دط ، دار هومة ، الجزائر ، 2000م ،28. 33.

[5]. محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 46،50.

[6]. السعيد الزاهري: من مواليد قرية ليانة ببسكرة في عام 1899م ، سافر لتونس أين اهتم بالنشاط الصحافي وبالأخص جريدة النهضة ،و بعودته للجزائر أصدر جريدته الأولى تحت اسم "الجزائر" عام 1925م ، من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ، أعدم في جانفي 1956م ، انظر : زهير إحدادن. **أعلام الصحافة الجزائرية** ، ج4 ، دط ، دار إحدادن ، الجزائر 2002م ، ص 24. 26 .

[7]. محمد صالح الجابري ، مرجع السابق ، ص 38 .

ب ــ تراجم لأهم النخبة الجزائرية وتكوينهم الزيتوني:

لقد قدم جامع الزيتونة أفواجا من المفكرين والعلماء ، التي كانت على يدهم النهضة الجزائرية أمثال الشيخ عبد الحميد ابن باديس وتوفيق المدني ، والبشير الابراهيمي ، أبو اليقظان، محمد خير الدين[1] .

وفيما يلي ترجمة موجزة لهؤلاء العلماء:

1ــ ابن باديس عبد الحميد:

ولد بمدينة قسنطينة عام 1889م ، حفظ القرآن ومبادئ اللغة العربية على يد حمدان الونسي[2]، هاجر لتونس أين التحق بالجامع الأعظم في عام 1908م عن عمر ناهز تسعة عشرة سنة[3] ، أما عن تكوينه الزيتوني فقد درس ابن باديس في الجامع لمدة أربع سنوات وذلك من1908 إلى غاية 1912م ، منها ثلاث سنوات تحصل بموجبها على شهادة التطويع (1910-1911) وفي السنة الرابعة درس لمدة عام كامل 1911-1912م كبقية الطلاب المتطوعين الجدد،وبفضل نبوغ ابن باديس وذكائه ، استطاع دون بقية الطلاب أي يدرس ثلاث سنوات بدل سبع سنوات ، ومن بين المدرسين الذي درس على يدهم الشيخ محمد النخيلي القيرواني.

إضافة لتحصيله على شهادات فقد اكتسب ابن باديس التكوين الفكري **والسياسي في الزيتونة والذي تجلى في نشاطه** الإصلاحي حين عودته للجزائر[4].

---

[1]محمد خير الدين : ولد عام 1902م ، بدائرة الزيبان بسكرة ، ارتحل لطلب العلم بتونس ، أين التحق بالجامع الأعظم وانتظم في سلك الدراسة مدة سبع سنوات ، تحصل عام 1925على شهادة التطويع ، أنظر : محمد خير الدين ، **مذكرات الشيخ محمد خير الدين** ، ج1، ط3، مؤسسة ضحى الجزائر ، 2009م ، ص 60،60 .

[2]ـ حمدان الونيسي : ولد سنة 1856 م، عين مدرسا بجامع قسنطينة عام 1881م ، هاجر للحجاز أين استقر بالمدينة المنورة ، درس على يده كل من عبد الجميد بن باديس والطيب العقبي ، من أهم مؤلفاته القول الحنيف في الرد على من أجاز الفتوى بالقول الضعيف ، وافته المنية عام 1920م ، أنظر : هشام بلقاضي ، **معجم علماء الدين والاصلاح في الوطن العربي** ، دط ، دار سحنون ، الجزائر ،د ت ، ص 108ـ 110 .

[3]ـ باعزيز بن عمر ، **من ذكريات عن الامامين عبد الحميد إبن باديس ومحمد البشير الابراهيمي** ، ط2، منشورات حير ، الجزائر ، 2008م ، ص 22

[4]ـ محمد صالح الجابري، مرجع سابق ص 61 ،76.

وافته المنية يوم 16 أفريل من عام 1940[1]، أما عن أثاره فلم يترك العلامة ابن باديس مؤلفات نظرا لعدم تفرغه لذلك ، إلا أنه نشط في الصحافة. بالاضافة لما جمعه من دروس في التفسير تحت عنوان تفسير ابن باديس، وكذا الأحاديث النبوية بعنوان مجالس التذكير من كلام البشير[2].

2ـ الابراهيمي محمد البشير:

ولد من عام 1889م بمدينة سطيف بقرية رأس الوادي[3] ، وبالرغم من دراسته بالحجاز والمشرق العربي ، إلا أنه كان مدركا لدور جامع الزيتونة في المجال الفكري بالجزائر ومناصرته لهم.

فحرص على أن تكون له علاقة وطيدة به، ذلك أنه درس على يد مشايخ زيتونيين في الحجاز، قائلا " ... فأنا لم أتخرج من الزيتونة ولم أقوا في الجامع حرفا ، ولكنني تخرجت بالمدينة المنورة على أضواء لواكب الزيتونة في وقته...[4].

كانت وفاته في عشرين من شهر ماي عام 1965 م [5] .

1. أحمد توفيق المدني ، **حياة كفاح** ، ج2، مج2، ط خ ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2010م، ص 396
2. سليمة كبير ، **من أعلام الجزائر** ، مر ، أحمد فريطس ، دط ، المكتبة الخضراء ، الجزائر ، دت ، ص 35
3. أحمد طالب الابراهيمي ، **أثار الامام محمد البشير الابراهيمي** ، 1929-1940م ، ج 1 ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997م ، ص، 09 .
4. محمد صالح الجابري ،مرجع سابق ، ص 49-50
5. احمد طالب الابراهيمي ، المرجع السابق ، ص 5 .

3ـ التبسي العربي بلقاسم:

هو الشيخ العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات ، أسرته من قبيلة أجدور النموشية[1] ، ولد عام 1312هـ الموافق لـ 1895م بمدينة تبسة[2]، تعلم القراءة وحفظ القرءان في سن السادسة من العمر في الزاوية ، ثم انتقل للزيتونة لمزاولة دراسته الثانوية لمدة سبع سنوات. وبحلول عام 1902م انتقل لمصر فدرس بالجامع الأزهر متحصلا على الشهادة العالمية[3].

أما عن تكوينه الزيتوني ،فقد انتقل العربي إلى جامع الزيتونة لاتمام دراسته الثانوية أين كان على كل طالب أن يختار أساتذته فاختار العربي أساتذته في الزيتونة وأقبل في تلقي الدروس. وحفظ المتون ، ومن بين المشايخ الذي تلقى تعليمه على يدهم الشيخ بن عثمان بن المكي ، حيث أثناء دراسته بتونس كان قد كفله عمه، أما عن سكناه فقد كانت الدورا من الدرو التي أوفقها المحسنين . وعندما كان مقبل على اجتياز شهادة التحصيل سافر إلى مصر وأتم دراسته ، وبعودته لتونس تحصل على شهادته بتميز وكان من نتائج دراسة العربي التبسي في الجامع الأعظم لمدة سبع سنوات الدور المهم في تكوينه واتقانه للعلوم[4].

4ـ أحمد توفيق المدني:

ولد بتونس يوم01 نوفمبر 1898م من عائلة جزائرية الأصل ، تلقى تعليمه الجامعي بالزيتونة ، ثم تعرض للسجن مدة أربع سنوات وبخروجه أنشأ الحزب الدستوري سنة 1920م . تعرض للطرد من تونس من طرف السلطة الفرنسية ، من أهم مؤلفاته كتاب "الجزائر" الذي أصدر عام 1923م في تونس وكتاب "نضال ايرلندة " سنة 1925م.

كما أصدر حولية تحت عنوان " تقويم المنصور " وذلك من أجل عكس جمال الجزائر وحضارتها ، بالاضافة إلى عمله النضالي في مجلة الشهاب وجريدة البصائر[5].أما عن تكوينه الزيتوني ، فقد تلقى أحمد توفيق المدني تكوينه في المدرسة الخلدونية التابعة للجامع الأعظم ، بحيث درس التاريخ على يد الأستاذ حسن حسيني عبد الوهاب صاحب كتاب

1ـ النموشية : قبيلة بربرية تقطن في جبال تمتد من مدينة خنشلة إلى تبسة والتي ينحدر منها اجداد العربي التبسي ، انظر : محمد علي دبوز، **أعلام الاصلاح في الجزائر** ، ج1،ط1،عالم المعرفة ، الجزائر ، 2013م ، ص 39.

2ـ المصدر نفسه ، ص 43.

3ـ خالد أقيس ، **الشيخ العربي التبسي** ، ط2، دار الألمعية ، الجزائر ، 2012م ، ص 13-19.

4ـ محمد على دبوز ، المصدر السابق ، ص 70.67.63.

5ـ أحمد توفيق المدني ، **حياة كفاح** ، ج1 ، مج1، ط خ ، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2010م ، ص 7-15.

خلاصة تاريخ تونس ، اما في الجامع فقد انتهج أحمد توفيق المدني طريقة لأخذ العلم حيث لم يتقيد بصنف معين ولم يمتحن بحيث تلقى تعليمه في التفسير على يد الشيخ النخلي في التفسير ، أما في البلاغة بأشراف محمد بن يوسف، والفقه فتلقاه من الشيخ الصادق النيفر. وقد كان يحضر لهاته الدروس ابتداء من صلاة الصبح إلى غاية صلاة العشاء[1] .

5ـ أبو اليقظان:

هو أبو اليقظان الحاج ابراهيم بن عيسى بن داود بن الشيخ الحاج أحمد بن الشيخ بلقاسم بن حمو بن عيسى ، يكنى بأبو اليقظان اقتباسا بالامام أبي اليقظان خامس أئمة الدولة الرستمية، من مواليد يوم 5 نوفمبر 1888م ، أما تعليمه الابتدائي فقد دخل الكتاّب في عمر ثمانية سنوات، فحفظ القرءان الكريم كما ترسخت لديه العقيدة الدينية[2] ، درس بجامع الزيتونة من عام 1912م بالاضافة إلى المدرسة الخلدونية. ترأس البعثة الميزابية عام 1914م ، من أهم أعماله التي طبعت في تونس منها كتاب إرشاد الحائرين[3]، اضافة إلى جريدة وادي الميزاب[4] أما عن تكوينه الزيتوني فسبفر ، لتونس التحق بالجامع . فدرس الكتب العالمية، أما العلوم التي درسها منها التفسير على يد الطاهر بن عاشور أما الأصول فدرسها على يد الشيخ بلحسن النجار.

إستمر في دراسته بالجامع إلى غاية عام 1926 م لمدة دامت عشر سنوات وبعد الاصلاحات التي عرفها المعهد الخلدوني ، توجه أبو اليقظان للدارسة فيه لمدة سنتين وذلك عام 1913 م إلى 1915 . أين درس العلوم التي لم يدرسها بالجامع ومن هذه العلوم . تاريخ الإنسان الطبيعي ، الجغرافيا ، وغيرها متأثرا تأثرا كبيرا بحضارة تونس ورقيها[5] .

1ـ أحمد توفيق المدني حياة كفاح ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 95 . أنظر الملحق رقم 7 ص 69.

[2] - محمد على دبوز ، أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج1 ، ص 243 .

[3] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي .1830-1954م ، ج 5 . ط 1 . دار المغرب.

[4] - جريدة وادي الميزاب : أصدرها أبو اليقظان في 1أكتوبر 1926م، صدر منها 119عدد ، تعتبر مرآة الفكر الجزائري الاصلاحي ، أنظر : محمد على دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج2، ط1 ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2013م ، ص15 .

[5] - محمد على دبوز ، أعلام الاصلاح في الجزائر ، ج2، ط 1، عالم المعرفة ، الجزائر ، 2013م ، ص 268-279 .

ثالثا: إسهامات النخبة الجزائرية الزيتونية في الحياة التونسية:

أـ النضال الصحفي الجزائري في تونس:

لقد كان للصحافة التونسية دورا مهما في الحفاظ على المقومات العربية في القطر المغربي عامة والقطرين الجزائري التونسي خاصة ، بحيث اهتمت الصحافة التونسية بالكُتّاب الجزائريين وفتحت لهم المجال في بنشر مقالاتهم ونشاطاتهم الصحفية[1].

بحيث تعود أصول صلة الجزائريين بالصحافة التونسية منذ اصدار أول جريدة تونسية " الرائدة التونسي[2]" التي كانت تهتم بيشر ما يخص الجزائر وتونس، فمنذ بدايتها كان توجهها اصلاحي[3] .

ومن بين أبرز الشخصيات الجزائرية الزيتونية التي كان لها نشاط في الصحافة ، من بينهم عمر بن قدور[4] وعمر راسم[5] . اللذين استمرا في نشاطهم الصحفي ، إلى حين تم تعطيلها بعد بعد حوادث 1911م[6].

1ـ محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 151،169 .

2ـ الرائدة التونسي : هي أول جريدة حكومية ، اهتمت بنشر الاخبار السياسية عن الدولة العثمانية ، وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس فتمحور عملها في نشر قرارات حكومة الحماية ، أنظر : يوسف منا هدية ، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين** ، دط ، دار هومة ، الجزائر ، 2013م، ص 23

3ـ محمد صالح الجابري ، مرجع سابق ، ص 172

4ـ عمر بن قدور : ولد بالجزائر سنة 1886م كان على صلة بزعماء الوطن العربي أمثال مصطفى كامل وبعودته للجزائر عام 1908م ، عمل في تحرير جريدة "الأخبار" ، أسس جريدة الصديق عام 1920م ، توفي سنة 1932 م، انظر : زهير احدادن ، **أعلام الصحافة الجزائرية** ، ج 2، دط ، دار احدادن ، الجزائر ، 2002م،ص12،13 .

5ـ عمر راسم : هو عمر راسم بن علي بن سعيد محمد البجائي ، ولد عام 1884م ، ارتبط اسمه بالنهضة الجزائرية ، برع في الصحافة ، تميزت شخصيته بالنزعة الاصلاحية ، أنظر : محمد صالح ناصر ، **عمر راسم المصلح الثائر** ، تق محمد هادي الحسني ، ط2، كولوريوم ، الجزائر ، 2013م،ص 18-40.

6ـ حوادث 1911: معركة الزلاج ، اندلعت يوم 7 نوفمبر 1911م في تونس ، من نتائجها انتصاب حالة الحصار الذي لم يرفع الا سنة 1921م ، انظر : شارل اندري جوليان ، **افريقيا الشمالية** تسير تر المنجي سليم وأخرون ، ط 3، دار التونسية للنشر، تونس، 1976م ،ص 89-90 .

فقد نشر كل منهما مقالات في جريدة المشير التونسية[1] إضافة إلى جريدة الحضارة[2]، وذلك بهدف عكس الأحداث التي كانت تحدث في الجزائر ، بحيث امتدت مساهمتهما مدة مابين 1907 ـ 1911م كان من نتيجة هذه المساهمة ، أن وطدت العلاقة والتبادل الفكري بين البلدين[3].

إلا أن قيام الحربين أدى إلى تعطيل الصحافة التونسية وركودها وخلال ذلك كان صدور جريدة الفاروق الجزائرية[4] ، تعوض الفراغ وقد وصف أحمد توفيق المدني هاته الفترة بقوله "... كانت الصحافة التونسية كلها معطلة ، وكانت الأفواه مكمومة وحالة الحصار المفروضة على العباد منذ سنة 1912م ، تقض المضاجع وتحطم النفوس... فكنا نترقب أسبوعيا بفارغ الصبر جريدة الفاروق التي كان يصدرها عمر بن قدور..." [5].

إلى غاية سنة 1920م عرفت الصحافة التونسية انفراجا بحيث كان هذا الانفراج لصالح الصحف الجزائرية التي كانت تطبع في تونس وتوزع في الجزائر على أنها صحف تونسية فقد نشط في هذه الفترة كل من السعيد الزاهري . الذي كان إنتاجه مقتصرا على جريدة النهضة في الفترة الممتدة مابين 1923ـ1925[6]م

بالاضافة إلى نشاط الطيب العقبي في جريدة العصر الجديد التي صدرت سنة 1920م . وكذا إلا ماكان ينشره ابراهيم بن الحاج عيسى المكنى بأبو اليقظان من مقالات في جريدة المنار ذات البعد الوطني[7] .

---

1. المشير التونسي : صدرت سنة 1911بتونس ، تولى ادارتها الطيب بن عيسى ، انظر ساحل عبد الحميد ، **عمر بن قدور الجزائري رائد الصحافة الاصلاحية في الجزائر**، دط ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر، 2016م ، ص 83 . (للمزيد أنظر الملحق رقم 08 ص 70)

2. الحضارة: تأسست سنة 1888م ، اسندت رئاستها للجزائري على بوشوشة ، اهتمت بالأخبار وقضايا التعليم ، متأثرة بافكارها بالجامعة الإسلامية ، أنظر : يوسف مناصرية ، المرجع السابق ،ص 30

3. محمد بن صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 156

4. جريدة الفاروق : صدرت سنة 1913م ، هي صحيفة شهرية ، ترأس تحريرها عمر بن قدور ، عواطف عبد الرحمن ، **الصحافة العربية في الجزائر ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية** ، 1954-1962م، دط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1985م،ص31.

5. محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 182-183.

6. محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 186.

7. المرجع نفسه ، ص187.

كما عُرِف المدني بنشاطه في مختلف المجالات والصحف الوطنية منها مجلتي تقويم المنصور والوزير، وبذلك فإن تميز تونس بنشاط الصحف أتاح للجزائريين مواكبة الإصلاح والمساهمة في التعريف بالجزائر وأوضاعها[1] .

ب ــ النشاط العلمي والإسهام الفكري:

يكمن تميز دور الطلبة الجزائريون الزيتونيين أنه لم يقتصر في طلب العلم فقط، وإنما كان لهم نشاطات في مختلف المجالات منها تأسيس الجمعيات والنوادي وذلك لأجل تحسين أوضاع الطلبة وتنظيمهم وبذلك ظهرت هياكل طالبية نتيجة العوامل التالية :

ـ إزدياد عدد الطلبة في الثلاثينيات

ـ ظهور جمعية علماء المسلمين

وبقيام هاته الجمعية ، وضعت حدا للأوضاع التي كانت تعرفها البعثات الأولى، فبعد أن كانت تقوم على جهد فردي منذ وصول أول بعثة باديسية سنة1913م ، إذ عانى الطلبة أعباء كثيرة في رحلاتهم منها ، قطع مسافات كبيرة على الأقدام ، إضافة إلى نقص المؤونة وعدم وجود مقر للسكن حين وصولهم[2] .

إلا أن البعثات الميزابية ، لم تعرف مثل هته الأوضاع الذي بدأ وفودهم للزيتونة بعد أربع سنوات من البعثات الباديسية عام 1917م .

وجاء تأسيس هذه الجمعية بعد الأوضاع المزرية للطلبة التي وجدها البشير الإبراهيمي في زيارته لهم ، وقد كان للبشير الإبراهيمي دورا في تحريض الطلبة ومنها تبلور تأسيس هذه الجمعية بعد أنا كانت فكرة مطروحة فقط ، ففي سنة 1934م اجتمع الطلبة انتخبوا من خلاله هيئة للجمعية وتم تسميتها جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائرين وتولى رئاستها الشيخ المهدي البجائي، إلا أن رئاسته لم تدم سوى شهور لذا تولاها الشيخ مخطاري بن محمود[3].

1ـ المرجع نفسه ، ص180. للمزيد أنظر الملحق رقم 9 ص 71.

2ـ المرجع نفسه ، ص 95-98 .

3ـ محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص 98-102 .

رابعا: دورهم في المجال السياسي.

انقسم هذا النشاط إلى ثلاث مراحل ، فالمرحلة الأولى تعقير مرحلة المناوشة ،والتي تمثلت في مقاومة المستعمر الفرنسي وتحويل الحركة الوطنية المتمثلة في الحزب الدستوري إلى حركة مغاربية.

أما المرحلة الثانية فتمثلت في المقاومة التي ساهم الجزائريون بكتاباتهم ومقالاتهم بالرغم من مصادرة الصحافة ، وتعطيلها فمن نشاط الجزائريون بتونس مشاركتهم في النشاط السياسي وتجلى ذلك في الإنخراط في الحزب الحر الدستوري منذ تأسيسه في ماي 1920م ، ومن بين الشخصيات الجزائرية أمثال ابراهيم أطفيش ، أبو اليقظان ، أحمد توفيق المدني[1].

إضافة إلى شخصيات من أصول جزائرية من بينهم عبد العزيز الثعالبي[2] ، بحيث تعود أسباب الإقبال في الإنخراط للحزب لعوامل منها مناهضة الاستعمار الفرنسي ، إضافة إلى دعم الحزب في نضاله[3] ، فقد تبوأ أحمد توفيق المدني منصب رئيس التحرير العربي للجنة التنفيذية في الحزب الحر الدستوري.

إلا أن هذا الحزب الدستوري تعرض للمضايقات خاصة لمن كان لهم نشاط بارز مثل أحمد توفيق المدني الذي أصدر في حقه قرارا بنفيه عن تونس وذلك يوم 06جوان 1925م ، وذلك بتهمة كونه من أصول جزائرية شاركت في أعمال سياسية تونسية[4] .

1ـ محمد صالح الجابري ، مرجع سابق ، ص 217-263.

2ـ عبد العزيز الثعالبي : ولد بتونس من عام 1874م ، درس في المدرسة الصادقية ومن ثم جامع الزيتونة ، اصدر سنة 1901م جريدة سبل الرشاد ، كان أول من أسس الحزب الدستوري التونسي ، من مؤلفاته " تونس الشهيدة" ، وفقه المنية من عام 1944م ، أنظر : عبد العزيز الثعالبي ، **تونس الشهيدة** ، تر ، سامي الجندي ، ط1، دار القدس ، لبنان ، 1975م، ص 5-9-21.

3ـ محمد صالح الجابري، مرجع سابق ، ص 263-264.

4ـ المرجع نفسه ، ص 266-274.

وذلك بالرغم من الحذر والاحتياط التي اتخذه الجزائريون إلا أن السلطة الإستعمارية إستطاعت من خلال خطة مرحلية تقوم فيها بقمع الفرد بعد الآخر ففي سنة 1923م قامت بنفي ابراهيم اطفيش إلى مصر ومنعه دخول الجزائر[1].

وإلى جانب المدني كان لشخص عبد الرحمان اليعلاوي المكنى عبد الرحمن التونسي دورا في الحزب الدستوري الذي تعرض للسجن ثلاث مرات إلا ان هذا لم يمنعه في الاستمرار في نشاطه ، فقامت السلطات الفرنسية بنفيه عام 1925م .

ومن بين المكافحين بالقلم منها رسائل الطيب العقبي التي نشرها في جريدة العصر الجديد ، وذلك من عام 1922م ، والتي كانت لا تخلو من السياسة، إضافة إلا مانشره المراسل الجزائري السعيد الزاهري من عام 1925م والتي دعى فيها العمل على الوحدة المغربية ، ولعل من أهم الوسائل السياسية هي ماكان ينشره أبو اليقظان في جريدة المنير الذي كان أحد أعضاء الحزب الدستوري التونسي[2] .

ولعل في أن مشاركة الجزائريين في تأسيس أول حزب وطني تونسي قدم لنا صورة الوحدة بين الأقطار المغاربية ، فقد كان نشاط الجزائريين لا يقتصر فقط الاهتمام بأوضاع الجزائر، وإنما كانوا يهتمون بالقضايا الوطنية المغربية عامة ، والحركة التونسية خاصة بحيث بدأ النشاط السياسي ما قام به عمر راسم وعمر بن قدور من خلال مقالاتهم ، ومن ثم انتقل النشاط في الالتحام في الحركة الوطنية التونسية وذلك من خلال الحزب الدستوري التونسي[3].

1ـ محمد صالح الجابري: مرجع سابق ، ص 283.

2ـ المرجع نفسه ، ص 294-306.

3ـ المرجع نفسه ، ص 311-333.

اتضح لنا مما سبق أن الأواصر العلمية والفكرية بين تونس والجزائر موغلة منذ القدم وبحديثنا عن دور جامع الزيتونة الذي تخرج منه ألاف العلماء الجزائريين ، فإننا نتكلم عن دوره الحضاري الذي كان له الأثر البالغ على الجزائريين الزيتونيين في تكونيهم وبفضله مكن الجزائر الحفاظ على عروبتها واسلامها وهويتها ، كما قدم نسيجا من المثقفين ثقافة اسلامية ساهمت في الحركة الإصلاحية التي ستعرفها الجزائر.

كما نستنتج أن دور المهاجرين الجزائريين كان زاخرا في مختلف الميادين ونخص الذكر المجال الصحفي والسياسي ، بحيث لم تنحصر مساهمتهم في عكس أوضاع الجزائر والتعريف بقضيتها فحسب ، بل اندمجوا في الحركة المغربية عامة والحركة التونسية خاصة.